الفصل الخامس
إسماعيل وأمر ذبحه من الله

بعد أن رزق الله سبحانه وتعالى نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام بولدٍ من هاجر هو إسماعيل عليه السلام، أحبه إبراهيم عليه السلام حبًا شديدًا وتعلق قلبه به.. فأراد الله سبحانه وتعالى أن يختبر نبيه إبراهيم عليه السلام فأمره أن يذبح ولده الوحيد إسماعيل الذي اشتاق له عمرًا طويلًا بعد أن كبر.. وقد جاء هذا الأمر في رؤيا رآها إبراهيم عليه السلام في المنام كما جاء في ذكر القرآن الكريم فى قوله تعالى {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} [الصافات:١٠٢].. ومعلوم أن رؤيا الأنبياء وحي وحق ، فذهب إبراهيم عليه السلام لولده وأخبره بما أمره الله به، فما من إسماعيل إلا أن قال افعل ما تؤمر يا أبي نعم يستجيب لوالده ولأمر الله تعالى بكل حب واطمئنان لامر الله ورحمته الخفية فى هذا الطلب ،صابرًا محتسبًا، مُرضيًا لربه، وبارًا بوالده؛ قائلًا بنص القران الكريم :

{يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِ نْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات:١٠٢]. يا الهي أي اطمئنان للقلب هذا الذي يجعل الإنسان يمتثل لأمر الذبح دون تردد؛ انه اطمئنان المؤمن بان ربه لن يظلمه ولن يخذله ابد فقال افعل ما تؤمر، انه إسماعيل ابن إبراهيم الذي اوقدوا له النار ولم يخشها لأنه كان على يقين إنها ستكون عليه بردًا وسلامًا بأمر ربها إنها تمام العبودية وكمال الامتثال لأمر الله تعالى سواء من الأب الذي أُمِرَ أن يذبح ولده

الوحيد أو ومن الابن الذي لم يتذمر ولم يرفض بل هانت عليه نفسه إرضاءً لله تعالى.

ولما استسلم إبراهيم وولده لأمر الله تعالى وفوضا أمرهما إليه.. ذهبا سويًا إلى مكانٍ بعيدٍ وأضجع إبراهيمُ ولدَه على وجهه لئلا ينظر إليه فيشفق عليه.. وضعا إبراهيم عليه السلام السكين على رقبة ولده لينفذ أمر الله ،فهنا تنبض القلوب فرحة بيقينها واطمئنانها برحمة الله بعباده المؤمنين ، وجاءت البشرى فنودي إبراهيم عليه السلام من قبل السماء

{أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ} [الصافات:١٠٤- ١٠٦]. يقول ابن القيم رحمه الله في كتابه (الداء والدواء): "ليس المراد من الابتلاء أن نُعذب، ولكنا نبتلي لنُهذب، وليس العجب من أمر الخليل يذبح ولده، وإنما العجب من مباشرة الذبح بيده، ولولا استغراق حب الأمر لما هان مثل هذا المأمور". وإذا بكبشٍ عظيم أبيض اقرن قد بعثه الله تعالى فداءً لإسماعيل عليه السلام {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ} [الصافات:١٠٧]. وأصبح هذا اليوم يومُ عيدٍ للمسلمين وأصبح ذبح الأضحية نُسكًا يُتقَرب به إلى الله تعالى إكرامًا لذكرى إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام. وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال وهو ما الحكمة من الأمر بذبح إسماعيل عليه السلام؟ ثم ما السبب في رفع هذا الأمر وفداء إسماعيل؟ يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب (زاد المعاد) يقول: "لما سأل إبراهيم عليه السلام ربه الولد ووهبه له، تعلقت شعبة من قلبه بمحبته. والله تعالى قد اتخذه خليلاً؛ والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة وأن لا

يشارك بينه وبين غيره فيها. فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد، جاءت غيرة الخلة تنتزعها من قلب الخليل فأمره بذبح المحبوب. فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد، خلُصَت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبقَ في الذبح مصلحة إذ كانت المصلحة إنما هي في العزم وتوطين النفس عليه فقد حصل المقصود فنُسِخ الأمر، وفُدِي الذبيح، وصدق الخليل الرؤيا، وحصل مراد الرب.